

الجزء الثانى

الدعاية السياسية

فى العصر الأموى

مقدمة الجزء الثاني

يختلف التأريخ الإعلامى عن غيره من أنواع التواريخ الأخرى وذلك للعلاقة الوثيقة التى تربط الإعلام أو الاتصال بالمجتمع ، والتى على ضوءها تتحدد مدى قدرتها على فهم طبيعة النظام الاتصالى فى بيئة ما . فنحن لا نستطيع أن نفهم طبيعة النظام الاتصالى فى مجتمع ما إلا إذا تفهمنا ذلك المجتمع .. ولا نستطيع أن نفهم المجتمع إلا بفحص أفكاره ومعتقداته ومبادئه وتاريخه وفلسفته .

ومن ثم تتضح لنا طبيعة العلاقة التكاملية بين النظام الاتصال السائد وبين المكونات المختلفة للنظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى ، كما تتضح لنا مدى صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المؤرخ الإعلامى .

ويمكننا أن نحدد هذه الصعوبات وخاصة بالنسبة للفترة الزمنية التى استهدفنا التأريخ الإعلامى لها ((العصر الأموى)) على النحو الآتى :-

• إهمال المؤرخين العرب لأثر الزمن وما يصحبه من تطور، فهم ينسبون الكثير من التطورات التى احتاجت الى وقت طويل الى أشخاص سابقين ولدينا أمثلة كثيرة : " فالنظام المالى لا سيما تنظيم الجزية والخراج ينسب كله الى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - فيذكر المؤرخون أنه عد الجزية رمز الخضوع فيدفعها الذمى ، واعتبر الخراج إيجارا للأرض لا ضريبة ولذا وجب على المسلم والذمى دفعه .. ولكن البحث يدل بوضوح على أن هذا التمييز الأخير لم يحصل إلا فى زمن عمر بن عبد العزيز فى حين أن عمر بن عبد الخطاب عد الاثنين رمز خضوع وأعفى من أسلم من كليهما " (١) .

• إهمال المؤرخين للدوافع النفسية الخاصة بالمشاركين في تلك الأحداث وكذلك أيضا إهمالهم للمكونات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية الخاصة بالبيئة الاجتماعية للأحداث . فالحوادث المختلفة ما هي إلا نتاج لهذه العوامل .

• - النظرة الجزئية للمؤرخين . سواء بالتركيز في تدوين التاريخ على أساس الأسر الحاكمة أو بالاققتصار على رواية الأحداث منفصلة عن بعضها البعض أو بالاققتصار على التاريخ لجانب واحد فقط والتاريخ للمجتمع كله من زوايتها .

• - الخضوع (وخاصة بالنسبة للعصر الأموي) لضغط الاتجاهات الحزبية والدينية والشخصية وضغط الظروف التي تم فيها التاريخ لهذا العصر . فقد دون هذا التاريخ في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مغايرة للظروف التي وقعت فيها الأحداث وأحيانا من قبل أفراد مخالفين في الاتجاهات والميول للقوى السياسية المشتركة في هذه الأحداث وفي نفس الوقت أيضا نلاحظ كما يقول " الدورى " في كتابه " مقدمة في تاريخ صدر الإسلام " إن كثيرا مما كتب كان بغرض الدعاية " (٢) .

وعلى هذا فإن التاريخ لهذه الفترة الهامة من تاريخ أمتنا يحتاج إلى محاولة جادة متأنية لإعادة كتابته وتنقيته من كافة الشوائب التي علقت به ، وإلى فريق متعاون من الباحثين في التخصصات المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والإعلام والآثار والسياسة إضافة إلى المتخصصين في العقيدة والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية . وذلك لدراسة الأحداث المختلفة من وجهة نظر تكاملية ، الأمر الذى يساعد على إبراز النواحي الحضارية الأخرى للحضارة الإسلامية كالآداب والاقتصاد والثقافة والتربية بدلا من الاقتصار على الجوانب السياسية فقط كما حدث فعلا .

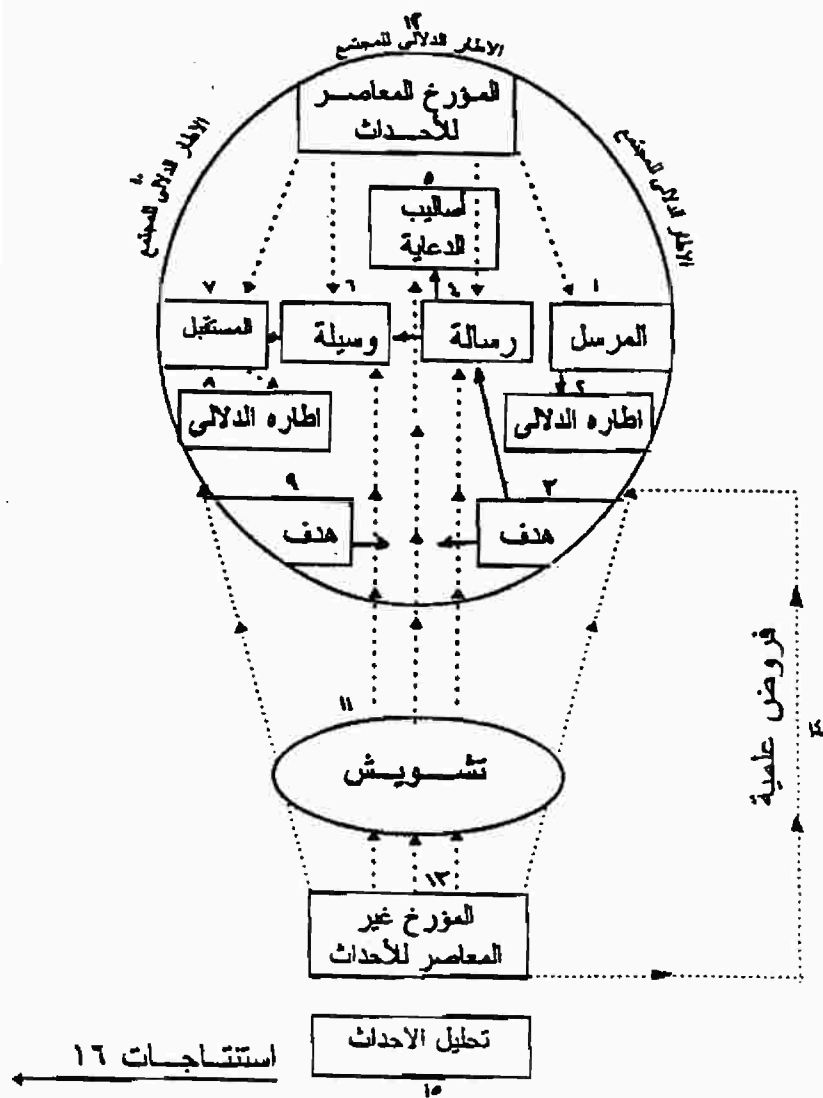
فالعرب المسلمون " بنوا حضارة عظيمة كان لها دورها في تاريخ الحضارة العالمية وكانت الأساس الذى استندت إليه النهضة الأوربية في العصور الحديثة " (٣) وواجب المؤرخين هو العمل على إبراز هذه الحضارة وتحديد مكوناتها وملامحها بدلا من الاقتصار

على تقديم التاريخ الإسلامى وكأنه مجموع وقائع وحروب ولا شئ أكثر " (١) .

ونظرا لطبيعة هذه الدراسة الخاصة بالتاريخ للدعاية السياسية فى العصر الأموى من حيث مفهومها وفلسفتها ونشأتها وتطورها وأجهزتها ووسائلها وأهدافها وأساليبها . ونظرا لارتباط التاريخ للدعاية السياسية بالمكونات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية لهذا العصر . ونظرا لأننا لا نستطيع أن نتعرف على طبيعة الدعاية السياسية إلا إذا تعرفنا على ظروف المجتمع الذى ندرسه من حيث أفكاره ومعتقداته ومبادئه وتاريخه وفلسفته ومن حيث مكوناته الأخرى المختلفة لذلك كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نخطو خطوة ايجابية تجاه الأخذ بهذا المفهوم التكاملى للتاريخ وذلك لنصل الى نتائج ايجابية فى موضوع دراستنا .

وعلى ضوء النموذج التالى لتحليل عملية التاريخ الاعلامى يتضح موقع المؤرخ لإعلامى فى نطاق عملية الاتصال وتتضح بالتالى الصعوبات التى تواجهه والاعتبارات العديدة التى ينبغى عليه مراعاتها للخروج بنتائج قيمة . كما يتضح لنا الإطار الذى ينبغى على الباحث ألا يتجاوزه خلال عمليتى التحليل والتفسير للأحداث التاريخية .. وأيضاً المدى المفروض للاستنباط والاستدلال حتى لا ينتهى به الأمر الى تجاوز هذه المعطيات التاريخية بالمبالغة فى الاستنباط أو الأفراط فى الخيال والتصور .

نموذج لتحليل عملية التأريخ الاعلامي وموقع المؤرخ في هذه العملية



ومن الشكل السابق يتضح لنا أن الهدف الأساسي للاتصال هو التأثير .. فنحن نتصل لنؤثر سواء في البيئة أو في الآخرين .

وما دمنا نتصل لنؤثر . فلا بد من وجود أهداف لنا نسعى إلى تحقيقها . وهذه الأهداف لا تنبع من فراغ وإنما تتحدد على ضوء عوامل عديدة مثل : التركيب الفسيولوجي - القدرات - الطاقات الأساسية - الجزاء المتوقع - الجهد المطلوب - الدوافع - الأهداف - الاتجاهات - تجارب الفرد وخبراته السابقة - ثقافته - البيئة الاجتماعية والمادية - معتقداته - مفاهيمه (٥) الخ . ويطلق على هذه المكونات الإطار الدلالي لكل من الفرد والمجتمع .

وعلى ضوء هذه الأهداف تصمم الرسالة الاعلامية بالشكل الذي يساعدنا على تحقيقها . ولذلك فنحن نحرص على اتباع الأساليب العلمية والفنية المختلفة للاعلام أو الدعاية لهذه الفكرة . وفي نفس الوقت أيضا ننقصى أفضل الوسائل المناسبة لعرض الفكرة والموافقة لطبيعة المستقبل وقدرته على الاستقبال .

ويقوم المستقبل سواء كان فردا أو جماعة أو شعبا من الشعوب باستقبال الرسالة الإعلامية وفك رموزها وتقويمها وفقا للمكونات المختلفة لإطاره الدلالي وللإطار الدلالي للمجتمع الذي يعتبر هو نفسه أحد مكوناته . وإذا نتج عن هذه الفكرة أو الرسالة أن اتبع المستقبل السلوك الذي تريده الفكرة نكون قد نجحنا في تحقيق أهدافنا أما إذا لم يتبع السلوك المطلوب فمعنى هذا أننا فشلنا في تحقيق ما نصبوا إليه .

وعلى هذا فإن نجاح رجل الإعلام أو الدعاية مرتبط بقدرته على تحقيق أهدافه . ولن يتمكن المرسل من تحقيق هذه الأهداف إلا إذا تمكن أولا من تفهم المكونات الأساسية لإطاره الدلالي (رقم ٢) في الشكل السابق) وللإطار الدلالي للمجتمع (١٠) وحدد أهدافه (٣) وكانت لديه المقدرة الفنية على صياغة الرسالة الإعلامية المناسبة (٤) وراعى في صياغتها الأساليب الفنية والعلمية للإعلام أو الدعاية لهذه الفكرة (٥) ثم اختار الوسيلة الإعلامية المناسبة (٦) وتفهم العوامل الخاصة بالمرسل من حيث إطاره الدلالي (٨) والإطار الدلالي للمجتمع الذي يعتبر المستقبل أحد مكوناته أو عناصره ..

وعلى ضوء الأهداف أو النتائج المتحققة (٩) يتحدد مقدار النجاح أو الفشل للقائم بالاتصال .

ونقل الصعوبات التي يواجهها المؤرخ الإعلامي المعاصر للأحداث (١٢) . فهو كشاهد عيان يستطيع بقدر من الجهد أن يكون على بيئة بمختلف الظروف والدلالات المتعلقة بكل من المرسل والمستقبل .. ومن خلال المعلومات المتوافرة له عن الرسالة والوسيلة والأساليب الإعلامية المستخدمة يستطيع أن يسجل لنا الجانب الإعلامي للأحداث المعاصرة غير منفصل عن الجوانب أو الظروف الأخرى المتعلقة بالمجتمع .

وحيثما ينفصل المؤرخ الإعلامي عن الفترة التي يؤرخ لها بمئات السنين ، ويفتقد الصلة بكل من المرسل والمستقبل والمجتمع والإطار الدلالي لكل منهم يصبح عليه أن يعتمد في كتابة التاريخ الإعلامي لهذه الفترة من هذا العصر على الرسالة الإعلامية ممثلة في الوثائق التاريخية من هذا العصر وعلى النتائج أو الأحداث التي دونها المؤرخون في سجلاتهم وأيضاً على الانتاج الأدبي والفني الخاص بهذه الفترة .

وعلى ضوء هذه المعلومات بعد تنقيتها وتمحيصها عليه أن يستخلص الحقائق الخاصة بكل من المرسل والمستقبل والمكونات المختلفة للإطار الدلالي الخاص بكل منهم وذلك كأساس لمحاولة التأريخ الإعلامي لهذه الفترة .

وفي نفس الوقت عليه أن يتلافى كافة أسباب التشويش (١١) ونقصه به العوامل المؤدية الى الإيهام أو اللبس أو الغموض نتيجة لعدم توافر المعلومات أو قصورها أو تحيزها أو نتيجة للملابسات التي شابت التأريخ الإسلامي للعصر الأموي والتي سبق لنا تحديدها .

وعلى ضوء كافة هذه المتغيرات ومن خلال الأهداف المحددة للدراسة (١٤) وفي إطار المعطيات التاريخية يستخلص الباحث استنتاجاته ونتائج (١٦) .

والدراسة التالية هي محاولة لتطبيق هذا المنهج الذى وضعته لها . ومع ذلك فأنتى لا أدعى أنتى قد وفيت موضوع الدعاية السياسية فى العصر الأموى حقه من البحث والدراسة لأنه ميدان رحب فسيح . وحسبى أن يكون هذا الكتاب مجرد محاولة متواضعة من جانب المؤلف لتوجيه نظر الباحثين والمهتمين بالإعلام والاتصال بال جماهير الى ضرورة العودة إلى التراث الإسلامى وتأصيله نظرياً .. والتأريخ لتطبيقاته العملية فى حقل هام من الحقول التى ظلت مهمة طويلاً وهو حقل الإعلام والاتصال بال جماهير .

وأرجو أن أكون قد وفقت بعض التوفيق فإن كان ذلك فله الحمد وإن جاتبنى الصواب فلا أظن أنتى أعدم العذر والصبر الذى أتسلى به وملأذى فى ذلك قوله تعالى { والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } وفى قول خير البرية : " إذا أجتهد المجتهد فأصاب فله أجران . وإذا أجتهد فأخطأ فله أجر واحد .

والله ولى التوفيق

الباب الأول

الأحزاب السياسية

فى العصر الأموى

الفصل الأول : - الأحزاب السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وجذورها الفكرية

الفصل الثانى : - الأحزاب السياسية وظروف العصر

لتحديد مفهوم الدعاية السياسية في العصر الأموي وظروف نشأتها وتطورها وأهدافها ، وأيضاً للتعرف على أجهزة الدعاية السياسية للعصر الأموي والوسائل التي استخدمتها الأحزاب والأساليب التي سلكتها لتدعيم سطوتها وبسط نفوذها وسلطانها على سواها من الأحزاب المتصارعة يجب أن نتعرف على مفهوم كل من الحزب والسياسة ، وعلى الركائز الأساسية للحزب السياسي وإلى أي مدى توافرت هذه الركائز للأحزاب في العصر الأموي ؟ وما هي الجذور التاريخية للنزاع على الخلافة ؟ والمراحل التي مر بها هذا النزاع إلى أن تبلور في شكل أحزاب سياسية لكل منها أفكاره وتصورات وأصوله الفكرية التي تميزه عن غيره من الأحزاب ؟ وإلى أي مدى كانت الأحزاب السياسية انعكاساً لظروف العصر الأموي الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وهذا هو موضوع الباب الأول من هذه الدراسة : وسنتحدث فيه عن الجوانب الآتية :

- مفهوم السياسة .
- مفهوم الحزب .
- الركائز الأساسية للحزب السياسي .
- نشأة الأحزاب السياسية المعاصرة .
- النزاع السياسي على الخلافة ونشأة الأحزاب .
- الجذور الفكرية لأحزاب العصر الأموي .
- الأحزاب السياسية وظروف العصر : الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

الفصل الأول

الأحزاب السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وجذورها الفكرية

أولا : مفهوم السياسة :-

السياسة لغة تدبير شئون الناس وتملك أمورهم والرياسة عليهم ونفاد الأمر فيهم . جاء فى لسان العرب : السوس : الرياسة ، يقال : ساسهم ، إذا رأسهم . ويقال : سوسوه وأساسوه ، إذا رأسوه ، وساس الأمر سياسته والجمع ساسة وسواس .

وفى الحديث النبوى كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم أى تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية . والسياسة القيام على الشئ بما يصلحه (٥) . وجاء فى القاموس المحيط : سبست الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها . وفلان مجرب قد ساس أى أدب ، ومجرب قد سيس عليه أى أدب . وسوس فلان أمور الناس أى صير (٦) ملكا .

وهذه المعانى هى ما تدل عليه كلمة POLICY فى اللغة الإنجليزية فهى التدبير أو الرياسة أو طريقة الحكم وأشكاله فى قطر من الأقطار .

أما السياسة اصطلاحا فيختلف معناها ويتنوع بين الباحثين المسلمين والمحدثين . ومعناها حديثا هو فن الحكم . أى تدبير الحاكمين لشئون المحكومين وتوفير الحياة الطيبة لسانر طبقات

الشعب ، وهى الأسلوب الذى يجب أن يتبع فى معاملة كل طبقة بعيدا عن الظلم والاستبداد والاستغلال .

" وعلم السياسة على هذا هو الذى يبحث فى حكم الأمم من حيث أشكاله ونظمه ومقدار ملاعته لأحوال الشعب " . (٧)

وقد اختلطت السياسة بهذا المعنى لدى المسلمين بالدعاية والاتصال بالجماهير ، وكان المسلمون كما يقول " الدكتور إبراهيم إمام " . " يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية السياسة " كما ورد فى مروج الذهب للمسعودى عندما يقول " وقد بلغ من إحكام معاوية السياسة واتقائه لها واجتذاب قلوب خواصه وأعوانه .. الخ " ويقصد بذلك تأثير معاوية فى الجماهير عن طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ الأمر الى حد تزييف الأحاديث واختلاق الروايات وتلفيق المواقف التاريخية من أجل التحكم فى نفوس الجماهير . ومن يتتبع الطبرى وابن الأثير يستطيع أن يقف على تفاصيل الدعاية الإسلامية فى العصر الأموى والعصر العباسى . كما يتضح دور الفرق الإسلامية المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة فى الدعاية السياسية والدينية معا (٨) .

كما انبنى مفهوم السياسة لدى علماء المسلمين على فكرة الخلافة أو الإمامة .. واختلفت اجتهاداتهم وفقا لثقافتهم ومذاهبهم وتنوع الحركات العلمية والفرق الدينية والحركات السياسية التى مثلوها . تنوع الصراع حول تطبيق هذه المفاهيم من مجرد مقارعة الحجة بالحجة والإقناع الى الحروب والثورات التى كلفت المسلمين ضحايا لا تعد ونكبات لا تعوض . وإن كانت أثمرت مع ذلك تراثا ضخما فى الفكر السياسى استفادوا فيه من الثقافات الماضية والحضارات السابقة وأدخلوا ذلك فى أحاديثهم وكتاباتهم وتفكيرهم .

ومن العلماء الذين قدموا لنا آراء وتصورات ذات قيمة فى هذا المجال .. الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا وابن خلدون . ونكتفى هنا بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته . يقول : لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا .. فصاحب الشرع يتصرف فى الأمرين .. أما فى الدين فبمقتضى

التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها .
وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشرى .

ويزيد على ذلك فيقول : فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة . فكأنها الإمام الكبير والأصل الجامع . وهذه كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعموم الخلافة وتصرفها في سائر أصول الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم .

ويقسم ابن خلدون السياسة هكذا الى قسمين سياسيين : الدين والشرع وسياسة الدنيا . ولابن خلدون في السياسة الثانية عبارة شاملة جامعة يقول فيها : أعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه . وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة . فما ظنك بسياسة نوعه ، ومن استرعاه الله من خلقه وعباده (٩) . والشواهد العملية من تاريخ الدولة الأموية تؤكد هذا الفهم للسياسة . فكان شعار معاوية بن أبي سفيان " لا أضع لسائى حيث يكفينى مالى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسائى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، فإذا لم أجد من السيف بدا ركبته " (١٠) . كما أنه أدرك منذ أيام ولايته طباع أهل الشام وأخلاقهم فماشاهم وساسهم أحسن السياسة فأخلصوا له أشد الاخلاص وحفظوا له أطيب الذكرى والتفوا حول بيته حتى أصبح آل أمية وجه دمشق المشرق . وسار أغلب خلفائه على نهجه . وخير مثال له عبد الملك بن مروان ، فقد جابه أخطارا عديدة .. الروم من جهة ، وعبد الله بن الزبير والخوارج من جهة أخرى وأهل قرقيسيا والقيسية من جهة ثالثة يضاف الى ذلك حركة خطيرة لآل البيت ورجل من البيت الأموى يستغل خروج عبد الملك الى قرقيسيا فيعلن في دمشق عزل عبد الملك ويتمرد عليه وهو عمرو بن سعيد بن العاص .

وقد تمثل ذكاء عبد الملك في حسن سياسته في مقدرته على عدم تحريك كل هؤلاء ضده في وقت واحد ، فالروم لهم الجزية يؤديها إليهم وعمرو بن سعيد له العودة السريعة الى دمشق والقتل

بيد عبد الملك نفسه ، وأمير قرقيسيا له الصلح والمال الوفير ، وأما الخوارج وابن الزبير فلهما الانتظار حتى ينتهى القتال الدائر بينهما ، حتى إذا انتهى بظفر فريق بعد انهالك قواه انقض عليه عبد الملك بجيش مستريح مستعد للقتال ، وخلال هذا كله كان عبد الملك يعرض الأمان لأعدائه ويستميل قوادهم بشتى الوسائل .

وعندما افتقدت الممارسات السياسية للأمويين هذا المفهوم العملى وأصبحت القوة هى الأسلوب الأمثل للممارسات السياسية وخاصة على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، ضاعت الدولة الأموية لأنها فشلت فى الاستفادة من السياسة فى تفتيت خصومها وفى الوقت نفسه عجزت الدولة الأموية عن فرض سيطرتها العسكرية على أقاليمها المترامية الأطراف (١١) .

فالساسة إذن كما عرفها المسلمون فى ذلك العصر وثيقة الصلة بالدعاية السياسية والاتصال بال جماهير . والباحث فى الدعاية السياسية فى العصر الأموى ، هو أساسا باحث فى سياسية هذا العصر ونظرية الحكم وموقف الأحزاب المختلفة منها ومناهجها ووسائلها وأساليبها وأهدافها .

وتتضح هذه الصلة الوثيقة بين كل من الساسية والدعاية السياسية والاتصال بال جماهير من تحليلنا لمفهوم الدعاية السياسية كما عرفها هذا العصر ومن تحليلنا لنشأة الأحزاب السياسية والإسلامية وتحديد الأصول الفكرية لهذه الأحزاب وارتباط هذا كله بالظروف الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للعصر الأموى وذلك كما يلى :

مفهوم الحزب :-

الحزب فى لسان العرب هو الصف من الناس ، وهو كل جماعة من الناس وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم . وجاء فى تاج العروس أن الحزب هم جماعة جند الرجل .. جماعته المستعدة دوما للقتال ونحوه . وحزب الرجل : أصحابه الذين على رأيه (١٢) .

ويقصد بالحزب PARTY فى اللغة الإنجليزية قسم أو جزء وهو يحتوى على مجموعة من الناس . وإذا تقدمنا الى المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة وجدنا تعريفات عديدة له. يعرف " بنيامين كونستان " الحزب السياسى بأنه " اتحاد أشخاص يعتقدون نفس المبادئ السياسية . ويعرفه " كلسن Kelsen " بأنه عبارة عن " تلك المنظمات التى تجمع بين الرجال ذوى رأى واحد لتضمن لها تأثيرا حقيقيا وفعالا فى إدارة الشؤون العامة " (١٢) . ويرى " نذرانيلي " أن الحزب عبارة عن " مجموعة من الناس مترابطة فيما بينهما وتسعى نحو أهداف ومبادئ معينة .

أما كولمان COLEMAN فيعرف الأحزاب بأنها اتحادات أو جمعيات منظمة بصفة رسمية ولها هدف واضح. ويعرف "هارولد لارويل" الحزب بأنه " المنظمة المختصة بتقديم المرشدين والقضايا السياسية تحت أسمها فى الانتخابات (١٤) . ويذهب هوزار ، استيفاتسون " HUSZAR & STEVENSON إلى أن " الحزب السياسى عبارة عن مجموعة من الناس تسعى لتحقيق الرقابة على الحكومة بهدف وضع برنامجها موضع التنفيذ ، وتعيين أعضائها فى مناصب وظيفية . وهى تسعى لاكتساب القوة من خلال طريقين أساسيين : إما عن طريق المشاركة السليمة فى العملية الشرعية للحكومة بهدف تحقيق النجاح لأعضائها فى العملية الانتخابية بحيث تحتل غالبية المقاعد الرسمية وإما عن طريق العملية غير الشرعية آملة فى كسب السيادة العليا من خلال الثورة " .

وأما إيدموند بيرك E. BURKE فيرى أن الحزب مجموعة من الناس اتحدوا فيما بينهم للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام وفقا لمبدأ معين يتفقون عليه جميعا فيما بينهم .

فالحزب السياسى إذن هو مجموعة منظمة من الناس ذات مبادئ ومصالح واحدة . وتسعى هذه الجماعة لتحقيق أملها فى الوصول الى السلطة والمشاركة الفعلية والحقيقية فى الحكم . ومن ثم تتمكن من وضع مبادئها وأهدافها العديدة موضع التنفيذ (١٥).

والنقطة الرئيسية فيما يتعلق بهذه الأحزاب هي أنها جماعات تتحقق لها درجة معينة من التنظيم والاستمرار يضاف إلى ذلك أنها تنشأ عادة لتلبية احتياجات ولخدمة أفكار وغايات محددة .

وعلى الرغم من أن هذه التعريفات للحزب السياسي حديثة ، إذ أن عمر الأحزاب السياسية لا يزيد كثيرا عن مائة وخمسين عاما وأن الأحزاب السياسية في العصر الأموي سبقتها في الظهور بأكثر من ألف ومائتي عام .. فإن الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل هو :- إلى أي مدى تعتبر الأحزاب السياسية في العصر الأموي أحزابا سياسية حقيقية ؟ . وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نتعرف على:-

الركائز الأساسية للحزب السياسي :-

سبق القول في التعريفات العديدة للحزب بأنه يمثل مجموعة منظمة من الناس يشتركون في مجموعة من المبادئ والمصالح ، وتسعى هذه الجماعة للوصول للسلطة بهدف المشاركة في الحكم وتحقيق هذه المصالح والمبادئ المختلفة ، وعلى هذا ، واتطلاقا من هذا التعريف يمكن التوصل إلى أن هناك ركائز أساسية يركز عليها الحزب السياسي وتختصر فيما يلي :-

١- مجموعة من الناس ينضمون بصورة طوعية اختيارية إلى الحزب يؤمنون بمبادئه ، ويعملون على نشرها والدفاع عنها . ويلاحظ أن عدد الأعضاء لا يؤثر في تكوين الحزب من حيث القلة أو الكثرة .

٢- وحدة المبادئ :- فكل حزب سياسي ينبغي أن يكون لديه منهجا يمثل المبادئ التي يؤمن بها ويعمل جاهدا من أجل الدعوة لها ونشرها والدفاع عنها .

٣- وحدة التنظيم :- إذ من الضروري أن يخضع الحزب لتنظيم دقيق وصارم يحكم أعضاؤه لا سيما وأن الصراع يسود بين الأحزاب بهدف التوصل إلى السلطة لذلك ينبغي أن يكون الحزب قادرا على التصدي لحالات الهجوم والتنافس التي يتعرض لها من الآخرين .

ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون هناك تخطيط وتنظيم سليم يسير الأعضاء وفقا له حتى يستطيعون مواجهة حالات الصراع ، ولا يتم ذلك إلا من خلال إطاعة الأوامر التي تصدر اليهم وتنفيذ كل ما يطلب منهم .

٤- وحدة القيادة :- إذ أنه من المعروف أن لكل تنظيم ناجح قيادة ناجحة قادرة على توجيه أعضائه الوجهة السليمة التي أنشئ من أجلها.

٥- الوصول الى السلطة :- فكل حزب يحاول قدر طاقته أن يصل الى مركز السلطة ، ذلك لأن السلطة هي التي تمده بالعون الكامل والمساعدة الأنكىدة فى تحقيق برامجهم ومبادئه التى نادى بها كثيرا (١٦) .

الركائز الأساسية للأحزاب السياسية فى العصر الأموى :-

وعلى ضوء الركائز الأساسية للحزب المعاصر نلاحظ بالنسبة للأحزاب السياسية فى العصر الأموى ما يلى :-

١- ان المسألة التى اختلف المسلمون حولها بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى هى مسألة الخلافة أو الإمامة . ومسألة الخلافة مسألة سياسية ذات صبغة دينية .

٢- ان التزاحم والصراع على السلطة كان هو المحرك الفعال لكل أحداث هذا العصر . وكانت السلطة هى الشغل الشاغل لتفكير المفكرين .

٣- نظرا لما للدين من مكانة كبيرة فى نفوس المسلمين آنذاك فقد اصطبغت الأحزاب السياسية بصبغة دينية . وصارت كل فرقة دينية حزبا سياسيا . وصار الذين يقتتلون سياسيا يقتتلون دينيا . وبذل أن يسمى الحزب أسما يدل على المبدأ السياسى الذى يدعو إليه تسمى أسما يدل على المذهب الدينى . كالشيعة والخوارج والمرجئة .

٤- كان لكل حزب من هذه الأحزاب مذهب وأراؤه ونظرياته فى الحكم ولكل منها وسائله فى الدعاية لأرائه .. ووسائل تحقيقها والتطور بها من نطاق الرأى والفكر إلى ميدان العمل .

٥- تركزت جهود هذه الأحزاب وأنشطتها والتفكير لها فى يد شخصية واحدة هى المهيمنة على كافة أمور الحزب ، ويدين لها الجميع بالطاعة والولاء بحكم ما توافر لها من شروط الإمامة ومقوماتها .

٦- اتسم الطابع العام لنشاط هذه الأحزاب بالاندفاع العاطفى ، ولم يتنبه لأهمية التنظيم ودوره فى النشاط الحزبى سوى بنى العباس عندما آلت إليهم الدعوة لآل البيت فقد جعلوا التنظيم طابعا لحركتهم .. وقد ظهر أسلوب التنظيم واضحا فى هذه الحركة منذ بدايتها سنة مائة هجرية .

وعلى هذا الأساس فإن الأحزاب السياسية التى نشأت فى العصر الأموى يمكن اعتبارها أحزابا سياسية حقيقية .. وهى تشبه إلى حد كبير الأحزاب الحديثة . إذ أنها تشاركها فى أن لكل منها مناهجه ونظمه وأهدافه وأساليبه ووسائله التى يسلكها لتحقيق أهدافه .. كما أنها تتفق معها كما يقول " ايدموند بيرك " فى تعريفه للحزب السياسى .. فى أنها " مجموعة من الناس اتحدوا فيما بينهم للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام وفقا لمبدأ معين يتفقون عليه جميعا فيما بينهم " .

نشأة الأحزاب السياسية المعاصرة :-

إذا حاولنا تتبع نشأة الأحزاب بصورة حقيقية ، فإنه لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن الإنسان سياسى بطبعه ويسعى للمشاركة فى الأنشطة السياسية التى تحيط به بصورة تلقائية . فضلا عن أن الصراع السياسى قد ظهر فى الوجود منذ وجود الانسان على وجه الأرض . ومن المعروف أن الناس يختلفون فيما بينهم من حيث الاتجاهات والمصالح والأمال والمعتقدات ، هذا إلى جانب أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية تلعب أدوارا أساسية فى اختلاف الناس وعدم اجتماعهم على رأى واحد ، وهذا يؤدى

بطبيعة الحال إلى أن ينقسم أعضاء الوطن الواحد إلى أحزاب وطوائف كثيرة ومتعددة يختلف كل منها عن الآخر . وعلى هذا فإنه من بين الدوافع الأساسية التي تؤدي إلى نشأة الأحزاب السياسية اختلاف الناس فيما بينهم من حيث المصالح الاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن الاختلاف والتمايز في المبادئ والأفكار والتقاليد ، وكذلك التمايز الديني والعنصري .

وإلى جانب ذلك فإن التعسف والاستبداد بالسلطة واحتكار الامتيازات وحصرها في نطاق عدد قليل من الناس ، فضلا أن عدم مراعاتها للمصالح والاهتمامات العريضة للناس ، قد يؤدي هذا كله إلى نشأة الأحزاب بهدف تغيير الحكم القائم والطبقة الحاكمة .

وقد عرفت الشعوب السابقة الأحزاب السياسية ، وكانت هذه الأحزاب عبارة عن أحزاب فكر ، وكانت هي المظهر الأول لقيام الأحزاب السياسية في أقدم العصور إلى جانب أحزاب المصالح المتناقضة التي كانت تتمثل في أحزاب الأغنياء والفقراء . وعلى هذا فلم تكن هذه الأحزاب قائمة على أسس علمية سليمة كما هو الحال في الأحزاب الحديثة التي تستخدم كافة الأساليب الموضوعية في تشييد أركانها .

أما عن النشأة التاريخية المحددة لظهور الأحزاب السياسية فإن البعض يرجعه إلى سنة ١٨٣٢ في بريطانيا .. غير أن " موريس ديفرجيه M. DUVERGER " يرجع هذه النشأة إلى سنة ١٨٥٠ م . ويذهب البعض إلى أن الحزب السياسي يعتبر نتاجا لنوع خاص من المجتمع السياسي وأن مصطلح " حزب سياسي " قد ظهر في الوجود أول ما ظهر في القرن التاسع عشر عندما ظهرت الحكومة النيابية ، وعندما اتسعت عملية التصويت الانتخابي في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بصورة واضحة (١٧) .

الجدور التاريخية للنزاع السياسى على الخلافة :-

كانت الأثرة السياسية في الإسلام نزاعا على الخلافة بين بنى هاشم وبنى أمية . وقد بدأ هذا النزاع منذ الجاهلية وبلغ ذروته

فى أيام عثمان وعلى رضوان الله عليهما ثم انتهى باستيلاء معاوية بن أبى سفيان على الخلافة .

بدأ العداء الداخلى فى قريش قبل الاسلام وكان عداء اقتصاديا . كان لعبد مناف ابن قصى ولدان : عبد شمس وهاشم . ولقد اتفق أن حال هاشم ركذ فاستبد عبد شمس بالتجارة ، ثم استبد ابنه أمية بالحرب أيضا . وهكذا أصبحت السيادة العسكرية والمادية فى بنى عبد شمس ، ومن أجل ذلك اضطر هاشم ثم ابنه عبد المطلب إلى أن يكتفيا بالتكسب من التجارة المحلية فى أيام المواسم (بالسقاية والرفادة أى إسقاء الناس وإطعامهم فى مواسم الحج) .

وهذا التفاوت بين الأخويين هاشم وعبد شمس أدى الى ما يلى :

١- قوى فرع عبد شمس " ولد أمية اقتصاديا وعصبيا . بينما هاشم وآله من بعده أخذوا يضعفون من هذه الناحية .

٢- جعل انصراف آل هاشم الى السقاية والرفادة " وهما متعلقان بالكعبة وبالتالي بالناحية الدينية من حياة قريش " جعلهم يتجهون اتجاه دينيا فيه كثير من الوفاء والمثل العليا بينما اتجه بنو عبد شمس (بحكم اتصالهم بالتجارة والحرب) اتجاهها ماديا معنويا .

٣- إن هذا التفاوت هو الذى خلق النزاع بين الفرعين القرشيين .

وعندما ظهر الإسلام كان بنو هاشم ضعفاء اقتصاديا وعصبيا بالإضافة إلى أن بنى أمية كانوا أقوياء . من أجل ذلك كان كل تبديل فى حياة قريش السائدة يومذاك يضر بنى أمية حتما ، وقد ينفع بنى هاشم فلم يكن من المستغرب أن أن يسرع بنو هاشم إلى اعتناق الإسلام وأن يقاوم بنو أمية الإسلام ما استطاعوا الى ذلك سبيلا (١٨)

وأخيرا عم الاسلام شبه جزيرة العرب .. ولم يجد بنو أمية مندوحة لهم من الدخول فيه. ولكنهم دخلوا وهم أقوياء يحاولون الاحتفاظ بجميع الامتيازات التى كانت لهم .

الوحدة السياسية في العهد النبوي :-

وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم عاش المسلمون في شغل عن العصبية إلا في القليل النادر لأنهم صاروا وحدة سياسية تصرف جهودها لحماية عقيدتها وصيانة حياتها .. ولأن الغزوات شغلتهم عن دعاوى الجاهلية . وتعاليم الدين الجديد صاغتهم على الإخاء والمساواة والتعاون والمحبة ، ثم إن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام طغت على نزعاتهم ونزواتهم فاستظلوا جميعا بظله واقتدوا بأفعاله وأقواله ، ووجدوا فيه الأب المحبوب المرهوب الذي يسوى بين بنيه ويعطف بعضهم على بعض وينسيهم ما سلف من شحناء وبغضاء .

النزاع السياسى على الخلافة :-

ولم يكد الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى بدرت العصبية المتوارية ونجم الصراع على من يخلفه وكان هذا النزاع بين طائفتين من المسلمين هما المهاجرون والأنصار لكن المهاجرين ممثلين في أبى بكر وعمر سرعان ما أخمدوا الفتنة وأقنعوا الأنصار أوحاولوا أن يقتنعونهم بأن الخلافة في قريش .

انقضى عهد أبى بكر وعمر فى سلام وونام إذ كفلا للمسلمين أسباب الرضى والطمأنينة ، وحققا لهم التسوية فى الحقوق .

وكان المسلمون فى عمل شاق متصل بالفتوح وإقرار النظام الجديد ودرء الخطر المتهدد فى النفوس من الفرس والروم (١٩) .

ثم ولى عثمان الخلافة نتيجة للشورى التى جعلها عمر إلى ستة من كبار الصحابة ، وكان للشورى الأثر الكبير فى نشوء الأحزاب القائمة على الولاء لأشخاص معينين لديهم أهداف شخصية فى الوصول الى الحكم . وهو ما عبر عنه معاوية بقوله " إنه لم يشئت بين المسلمين ولا فرق أهوائهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التى جعلها عمر إلى ستة نفر فلم يكن منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه " (٢٠) .

وكان عثمان لين العريكة واسع الحلم حتى اغتبط بعض الناس بحكمه لما وجدوا فيه من تيسير لم يجدوه عند عمر . فخرج كبار الصحابة إلى جهات الدولة يملكون فيها الضياع ويثرون ويجمعون حولهم الرعية وترك للأغنياء أمر الزكاة يخرجونها حسب تقديرهم ، وأخذ الترف يدب بين الناس (٢١) .

وبولاية عثمان عاد النزاع صريحا بين بنى أمية وبنى هاشم فقد كان عثمان فى رأى الهاشميين ظاهرة أموية تسترد مجدهم القديم . أما بنو هاشم فقد قوا وكثر أتباعهم . إما اقتناعا بحقهم فى الخلافة وإما التفافا حولهم كرها لسياسة عثمان ، ولكن أولئك الذين التفوا حول بنى هاشم كانوا يطلبون الخلافة لأنفسهم وكاتوا يرون أن وجود بنى أمية على سدة الخلافة مانعا لهم من الوصول إليها (٢٢)

وقد أثارت سياسة عثمان فى الأمور السياسية والإدارية والمالية عليه وعلى عهده موجة من السخط بين المسلمين علما وبين بقية أعضاء مجلس الشورى الخمسة خاصة . على أن أعضاء مجلس الشورى وهم على بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير ابن العوام وسعد بن أبى وقاص وجدوا أن ارتفاع شأن بنى أمية يهدد مكائهم ونفوذهم . ولم يكن الطموح السياسى هو السبب فى معارضة هؤلاء لتصرفات عثمان ، بل كاتوا حريصين على العمل بأحكام الدين والتمسك بالخير والحق . وكذلك سائر المسلمين ، فقد استاءوا من تصرفات عثمان وعماله وولاته ونقموا عليهم لما رأوه من عصبية أموية وقرشية على أيديهم كذلك فإن عثمان اتخذ ابن عمه مروان بن الحكم كاتباً له فى المدينة وترك له الأمر ، فملاً مروان كل مناصب الولاية بأهل قرابته ، وبذلك أصبحت المراكز الإدارية فى الدولة تحت تصرف بنى أمية (٢٣) .

وفى شوال من سنة ٣٠هـ (نيسان ٦٥٦م) جاءت وفود الإقطار الى المدينة تتظاهر بطلبه الإصلاح . وكان أشد الوفود نفمة وفد مصر ، ويقال أن عثمان أراضى وفد مصر بأن كتب لهم كتابا يعزل عبد الله بن أبى سرح وتولية محمد بن أبى بكر على مصر غير أن مروان بن الحكم كاتب عثمان كتب كتابا إلى عبد الله بن أبى سراح وختمه بخاتم عثمان يوعز فيه إلى عبد الله بن أبى سرح

بقتل محمد بن أبى بكر إذا وصل إلى مصر . ولكن بن خلدون يرى أن الكتاب الذى نسبوه إلى مروان كان مزورا عليه ، وأن مروان لا يظن به شئ مما قالوه فيه (٢٤) .

النزاع بين على ومعاوية ونشأة الأحزاب السياسية :-

وعندما عثر وفد مصر على هذه الرسالة وهم فى طريق العودة رجعوا وحاصروا الخليفة فى منزله وطلبوا إليه الاستقالة فرفض وعندها انقضوا عليه وقتلوه .

وقد مال بعض الثوار إلى تولية على ما بعد مقتل عثمان وكان أكثر الصحابة متفرقين فى الأمصار . ولم يكن بالمدينة منهم إلا نفر قليل ومع ذلك فقد تمت البيعة لعلى ، وبادر إلى عزل ولادة عثمان دون أن يأبه لنصيحة بعض الصحابة الذين أشاروا عليه بإبقائهم ريثما تستقر الحالة وتهدأ الفتنة (٢٥) .

وقد أحفظ هذا التصرف الولاية . ولكنهم رضخوا لأمر العزل ما عدا معاوية بن أبى سفيان وإلى الشام الذى أبى أن يذعن واستغل صلة القربى التى تربطه بعثمان رضوان الله عليه فنأذى بالشار له وطلب إلى على أن يسلمه القتلة فرفض على وبدأ الصراع بين الرجلين . وفى ربيع سنة ٦٥٧م سار على بجيوشه فى اتجاه الشمال الغربى وخرج معاوية للقائه على الحدود السورية فى " صفيين " الواقعة على الضفة اليمنى من الفرات ، وبعد مفاوضات استمرت شهرا وانتهت بالفشل اشتبكت قوات الفريقين ونجح جيش على أن يشق طريقه إلى النهر وأن يضيق الخناق على معاوية وجيشه فلجأ معاوية إلى الحيلة . إذ أمر برفع المصاحف على رؤوس الرماح إشارة إلى وجوب تحكيم كلمة الله لا كلمة السيف . وأوقفت المعركة واتفق الفريقان على اختيار حكمين هما عمرو بن العاص نيابة عن معاوية وأبو موسى الأشعرى نيابة عن على ليحكم بينهما على أساس القرآن .

واجتمع الحكماء واستطاع عمرو بن العاص بدهائه أن يخدع أبا موسى الأشعرى وأن يعلن معاوية خليفة على المسلمين ولم يلبث موقف على أن تضعف خصوصا بعد أن انشق عليه قسم من جيشه

وقد سموا فيما بعد بالخوارج . فرأى نفسه مضطرا لمناجرتهم قبل الإصراف إلى قتال معاوية .

وقد استطاع على أن يهزم الخوارج ولكنه فيما كان يستعد للحملة على سورية اغتاله ابن ملجم في مسجد الكوفة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (٢٤ كانون الثاني سنة ٦٦١ م) (٢٦) . وقد أراح مقتل على بن أبى طالب منافسا قويا من وجه معاوية ولكنه لم ينه النزاع بين بنى أمية وبنى هاشم . فإن الهاشميين سرعان ما نصبوا الحسن بن على خليفة مكان أبيه ولكن الحسن حقتا للدماء أثر التنازل لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١ هـ ٦٦١ م وبذلك صار معاوية خليفة للمسلمين وسمى هذا العام عام الجماعة (٢٧) .

وبهذه الطريقة التى تمكن بها معاوية من الاستيلاء على الحكم وجعله وراثيا فى عقبه من بعده تأكد انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب تتصارع حول الخلافة لمن تكون ؟ .. هل تقتصر على بنى أمية ؟ أو تكون حقا شائعا للمسلمين جميعا أو ترد إلى بنى هاشم وأبناء على خاصة (٢٨) . وإذا نحن نظرنا إلى نشأة هذه الأحزاب بالمفهوم الحديث للحزبية لعلمنا أنها مسألة سياسية خالصة . فالصراع بين المسلمين كان صراعا سياسيا حول منصب الخلافة وحول أحقية كل طرف من أطراف النزاع فى هذا المنصب . ولما كانت الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا لذلك كان طبيعيا أن تصطبغ هذه الأحزاب السياسية بالصبغة الدينية .

وهذه الصبغة الدينية للأحزاب السياسية لم تكن بالأمر المستغرب وخاصة بعد أن اجتمعت السلطان الدينية والدنيوية فى يد واحدة . وأصبح لكل مشكلة وجهان : دينى ودنيوى . واختلف الناس حول هذه المشاكل .. فمنهم من يؤيد وجهة نظر معينة وآخرون يخالفونهم فى رأى ويقارعون الحجة بالحجة .. ومن هنا تبلورت الأحزاب السياسية .. وأصبح لكل حزب منهم نظريته السياسية وأصوله الفكرية ذات الطابع الدينى .

أما بالنسبة للأحزاب التي تكونت في العصر الأموي فهي :-

١- الحزب الأموي :-

وهم الذين يرون أحقية معاوية بن أبي سفيان وأبنائه بالخلافة ومقره دمشق .

٢- حزب الشيعة :-

وهم الذين ناصروا عليا وأولاده وكان مقرهم العراق .

٣- حزب الخوارج :-

وهم الذين خرجوا على علي ورفضوا التحكيم وكانوا في العراق.

٤- الحزب الزبيرى :-

وهم الذين ناصروا عبد الله بن الزبير في خروجه على بيعة يزيد بن معاوية وكانوا بالحجاز .

٥- حزب الموالي :-

وقد ظهر هذا الحزب بسبب تعصب الدولة الأموية للعرب .

وهذه الأحزاب الخمسة هي التي أدارت دفة الصراع السياسي خلال العصر الأموي بالكلمة أولا وبالسيف ثانيا حينما تفشل الكلمة في تثبيت أفكارهم وتدعيم سلطاتهم.

ويوجد بالإضافة إلى ذلك حزبان آخران لم يكونا يمثل الحدة التي كانت عليها الأحزاب الأخرى وهي :-

١- حزب المرجنة .

٢- حزب المعتزلة .

أما المرجنة فهم حزب محايد فى الحكم على المتنازعين بعد مقتل عثمان .. ولم ينشأ هذا الحزب إلا بعد منتصف القرن الأول للهجرة .. وإن كانت جذوره الأولى ظهرت عقب مقتل عثمان . يقول ابن عساكر فى كتابه تاريخ الشام . " أنهم قدموا المدينة وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ، ليس بينهم اختلاف ، فقالوا : تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم اختلاف . وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون .. فبعضكم يقول قتل عثمان مظلوما وكان أولى بالعدل وأصحابه . وبعضكم يقول : كان على أولى بالحق وأصحابه . كلكم ثقة عندنا مصدق . فحسن لا نتبرأ منهما ، ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجى أمرهما إلى الله حتى يكون هو الذى يحكم بينهما " ويقول النووى أن القضايا كانت مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتبعوا الصواب ، وكانت نظرتهن إلى الخلافة والخليفة وسطا بين الخوارج والشيعة .. فقد فصلوا العقيدة الدينية عن الرأى السياسى .. فلم يدينوا بالثورة على الساسة والحكام الذين يخالفونهم فى مذهبهم لأن كل من أعلن إسلامه مسلم ولا يخرج من إيمانه أنه عاصى أو مرتكب للكبائر ، وهم ينفرون من المعاصى ، لكنهم لا يقضون على العصاة بدخول الجنة والنار بل يرجنون الحكم فى ذلك إلى الله يفعل بهم ما يشاء يوم القيامة . هذه الصيغة العامة لنشأة المرجنة توحى بأنهم حزب سياسى يسالم الجميع ويقف منهم موقف الحيدة .. فهم لم ينحازوا إلى فريق من المسلمين المتنازعين دون فريق لم يؤيدوا بنى أمية ولم يقضوا بتفكيرهم أو يثوروا عليهم كما فعل الخوارج والشيعة ، لأن بنى أمية فى نظرهم مسلمون يحاسبهم الله على أعمالهم يوم القيامة . ومعنى هذا أن حكومتهم شرعية وأنهم أولو أمر ، طاعتهم واجبة .

كذلك سالموا الشيعة والخوارج والمعتزلة والزييريين ، ولم يكفروا أحدا منهم ، لأنهم وبنى أمية إما على حق وإما أن كلا منهم اجتهد أو أخطأ .. وخطأ المجتهد لا ينقص إيمانه .

أما المعتزلة فهم طائفة دينية كالمرجنة نشأت فى العراق ثم ذاعت تعاليمها هناك وفى دمشق — وهى فى نشأتها امتداد لفرقة المرجنة وثمرة من ثمرات الاتصال بالثقافات الأجنبية .

ولقد تبين تأثرهم بالمرجئة من مشابهتهم لهم فى التوقف عن الحكم على أحد الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين ومن قولهم أن مرتكب الكبيرة ليس كافرا .

أما تأثرهم بالمذاهب الأجنبية فيتبين من ضروب الخلاف والجدل الذى كان محتدا بين طوائف النصارى فى الأقاليم التى فتحها المسلمون . كما تعلموا الفلسفة اليونانية وتقووا بها فى جدلهم . وبالنسبة لسبب تسميتهم بالمعتزلة فيرجع الى أن واصل بن عطاء الغزال خالف أستاذه الحسن البصرى فى وصف مرتكب الكبيرة .. إذ كان الحسن يرى أنه منافق أما واصل فذهب الى أنه ليس مؤمنا مطلقا وليس كافرا مطلقا بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، وتابعه على رأيه عمرو بن عبيد . وينسب الانفصال فى روايات أخرى إلى عمرو بن عبيد لا الى واصل ، وتختلف الروايات على من سماهم المعتزلة ، فهو تارة الحسن البصرى ، وتارة قتادة ، حينما مر بعمر بن عبيد بن باب فقال : ما هذه المعتزلة (٢٩).

على أن استخدم هذه الكلمة كان أسبق من ذلك فقد ذكر الطبرى أن كلمة معتزلة دالة على الحياد فى الخصومة بين على وخصومه يقول : ولما اتجه طلحة والزبير وعائشه من مكة إلى البصرة لإثارة الناس على على خرج معهم المغيرة وسعد بن العاص مرحلة من مكة ، فقال سعيد للمغيرة : ما رأى ؟ قال : رأى والله الاعتزال فأتهم ما يصلح أمرهم ، فاعتزلا ورجعا الى مكة .

وعلى أية حال فقد كان لهذه الكلمة معنى سياسى خاص هو الابتعاد عن الصراع الناشب بين على وخصومه .. وعدم مناصرة فريق على آخر . ولهذا لم تقاومهم الدولة الأموية كما قاومت الشيعة والخوارج . لأنهم كانوا أقرب الى مسالمتها من هؤلاء . ولأنها وجدت فى مذهبهم السياسى مصلحة لهم لأنهم لا يتحيزون للشيعة ولا للأمويين .. وهذا ما جعل بعض خلفاء بنى أمية المتأخرين يعتقدون الاعتزال كيزيد بن الوليد ومروان بن محمد .

ثامنا : الأصول الفكرية للأحزاب السياسية :-

١- الحزب الأموى :-

قام الحزب الأموى على أساس أن هناك خليفة أمويا : هو عثمان ، وأنه قتل مظلوما ، وأهل بيته هم أولياء دمه ، يمثلهم معاوية ، وأن الأمويين أصلح للحكم وأقوم الناس بأعبائه ومعهم كثرة تؤيدهم وأنهم أصحاب مجد قديم . وأن نتيجة التحكيم فى أعقاب صفين كانت فى جانبهم ، ثم زعموا للناس أنهم وارثوا النبى صلى الله عليه وسلم فصاروا بذلك أحق الناس بهذا الملك الإسلامى . وأن خلفاء بنى أمية خلفاء الله ورسوله لخلقه فطاعتهم واجبة (٢١) ونصرتهم محقة محتمة يقول الأحرص فى الوليد بن عبد الملك :

تخير رب العباد لخلقه وليا وكان الله بالناس أعلما

وتتضح نظرية الحزب الأموى السياسية فى قول زياد بن أمية فى خطبته البتراء فى البصرة " أيها الناس : إنا اصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة . نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا . ونذود عنكم بفئ الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا (٢٢) .

٢- حزب الشيعة :-

بدأت بذور هذا الحزب فى النمو حين سخط الناس على عثمان وأخذ كثير منهم يبحثون سرا عن خليفة جديد ، وكان على بن أبى طالب أحد من أتجهت إليه الأنظار والتف حوله بعض الأنصار وهم الذين سموا فيما بعد باسم الشيعة . فلما قتل عثمان أسرع كثير من أنصاره إليه وبأيعوه .. وينتقل على إلى العراق ويتخذ الكوفة عاصمة له .

وتدور النظرية السياسية لهذا الحزب على أن على بن أبى طالب وأبنائه وأحفاده من بعده هم أهل الخلافة الحقيقيون . وأصحابها الشرعيون لأنهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا حق فيها لغير العلويين وأن الأمويين اغتصبوها منهم وينبغى أن

ترد عليهم وأن الخلافة ليست مفوضة للأمة بل تنتقل بالوصية فى على وأبنائه المعصومين من الأئمة انتقالا طريقه النص . ويذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلى بن أبى طالب يوم غدِير حم . وفى ذلك يقول الكميت :-

ويوم الدوح دوح غدِير حم أبان له الولاية لو أطيعا

وحينما انتهى الأمر بغلبة الأمويين واستحالة الخلافة ملكا وراثيا عاش الشيعة حزبا معارضا للحكومة شأن الخوارج أيضا .. وصرنا نرى نظاما سياسيا ينطوى على تأييد ومعارضة . ويستتبع سياسة يقضى حازمة حكيمة من جانب الحكام وأخرى عنيفة ثائرة أو مهادنة من جانب المعارضين .

وكان الشيعة يبغضون الأمويين لاغتصابهم حقا ليس لهم كما كانوا يخفون نشاطهم السياسى خوفا واتقاء للهلكة أو انتهازا للفرص . وينقسم الشيعة الى أربعة فرق رئيسية هم : السبئية ، الكيسانية ، الزيدية ، الرافضة . ثم افترقت هذه الفرق الأربع الى اثنتين وعشرين فرقة .

ومن تعاليم الشيعة التى تتصل بالخلافة الإسلامية أو نظام الحكم فى هذه الدولة قولهم بالعصمة والتقية والرجعة والمهدية ، فالأئمة عندهم معصومون من الخطأ . ولعلها فكرة فارسية أدخلها الفرس الذين درجوا على أرستقراطية الملوك وتقديسهم ، لذلك سماها العرب نزعة كسروية . وأنكرها معتدلو الشيعة وأمنتها الأولون لمخالفتها الطبيعية الإنسانية .. ولاسيما فى هذه البيئة العربية التى لاتعرف إلا الديمقراطية .

كذلك هناك المهدى المنتظر : وهو إمام يأتى ليملا الأرض عدلا بعد موته أو غيبته الطويلة أضفاها كيسان على بن الحنفية ثم استغلها الشيعة ليبشروا الناس بعودة الخلافة إليهم واستردادها من الأمويين حتى لا يغمرهم اليأس وينسوا الهاشميين فتضيع منهم آمالهم أيضا أو ما يدلون به على الناس من سلطان دينى واجتماعى (٢٤) .

وكانت الرجعة اتساعاً في عقيدة المهدي يؤمن بها كثير من الإمامية ويرون أن الرسول عليه الصلاة والسلام وعلياً والحسن والحسين وسائر الأئمة يرجعون إلى الدنيا وكذلك خصومهم كأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ابنه ، ويعذب هؤلاء الخصوم الذين اعتدوا على الأئمة وغصبوهم حقوقهم أو قتلوهم ثم يموتون جميعاً .

وأما التقية فكانت عند الشيعة من تمام تعاليمهم أو هي وسيلة يسترون بها ضعفهم وأساليبهم في الدعوة السياسية مخافة التكيل بهم وإنقطاع آمالهم وآمال الناس فيهم ، فاعتمدوا عليها انتهازاً للفرص وفسروا بها كثيراً من سلوك أئمتهم (٢٥) .

٣- حزب الخوارج :-

الخوارج في اللغة العربية جمع خارج وفي الاصطلاح الشرعي يطلق على كل من خرج على طاعة الإمام الحق الذي أوجب الشرع طاعته وحرّم الخروج عليه .. واشتهر هذا الاسم على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه بسبب التحكيم وهم اثني عشر ألفاً ويلقبون بألقاب متعددة منها : المحكمة والشرارة والحرورية والنواصب والمارقة . وقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على جواز قتلهم بل الجمهور على وجوبه .. وقد انقسموا إلى فرق كثيرة منها :- المحكمة الأولى .. والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والشيعية والحازمية والميمونة والصلتية والحزمية والشعلبية ... الخ (٢٦) .

ويبنى حزب الخوارج نظريته السياسية على أن الخلافة ينبغي ألا تكون قاصرة على قریش بل تترك لجميع المسلمين لأنها حق الله يتولاها خيرهم ورعا وتقوى ونفعا وكفاية سواء كان هاشميا قرشيا أم غير قرشي عربيا أم عجميا فهم يدعون لنظام جمهوري لا تورث فيه الخلافة إنما يتم الوصول إليها بالأساليب الديمقراطية وهو الانتخاب ، وعدوا الأمويين مغتصبين للخلافة ينبغي مجاهدتهم ومجاهدة الجماعة التي ارتضت حكمهم ونظامهم الوراثي واعتبارهم دار حرب وقتال . كما حكموا بكفر علي ومعاوية ومن ناصرهما بعد

التحكيم لأنهم حكموا بغير ما فى كتاب الله إذ عدلوا عن تحكيم الله الى تحكيم الناس (٣٧).

وقد رأى على بن أبى طالب أن هذه الفرقة التى شقت عصا الطاعة وزادت فى تفرق المسلمين خطرا على الوحدة الإسلامية فنهض إلى محاربتها لعلها تنوب إلى رشدنا ، وكانت أعنف معركة خاضها مع الخوارج هى معركة النهروان التى ألحق بهم فيها هزيمة نكراء فضلا عما فقدوه من ضحايا كثيرين .

لكن هذه الحرب لم تقض عليهم ولم تشتت صفوفهم بل زادتهم حقدا على على وتكتلا ضده . وقد قدر للإمام أن يموت بطعنة من يد خارجي هو عبد الرحمن بن ملجم . وقد أفضت المقاومة التى لقيتها هذه الجماعة إلى نفرتهم من الدولة ووقوفهم موقف المعارض الدائم لها . ولم تقتصر معارضتهم على القول فقط بل تعدته إلى العمل الثورى واستخدام العنف حتى غدا تقويض دعائم الدولة هدفا من أهدافهم (٣٨) .

ولذلك لم يهادنوا الدولة الأموية منذ نشأتها ، ومن أجل ذلك نشط الخليفة عبد الملك إلى تجريد حملة للقضاء عليهم فظلوا شوكا فى كيان الدولة الإسلامية فى مختلف عصورها .

وعلى أية حال فقد اتسم الخوارج بالفدائية وبأنهم باعوا أنفسهم فى سبيل تحقيق فكرتهم ، وفنيت عصبيتهم القبلية والجنسية فى عقيدتهم المذهبية ، وكل منهم يريد أن يموت شهيدا فى ساحة الجهاد الدينى الذى وهبوا أنفسهم له (٣٩) .

حزب الزبيريين :-

ينسب هذا الحزب إلى عبد الله بن الزبير وأبوه الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أشرف قريش ومن السابقين الى الإسلام وأحد رجال الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليكون من بينهم خليفة المسلمين من بعده وإحدى جداته صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام والأخرى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه السيدة

أسماء بنت أبي بكر الصديق وأخت السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (٤٠) .

ولد عبد الله بعد الهجرة بعشرين شهرا . وقيل هو أول مولود بالمدينة في الإسلام ، وقد تكون هذا الحزب بعد تولى يزيد الخلافة وفي أعقاب موت الحسين . فاعتصم عبد الله بمكة ودعا لنفسه بالخلافة ، وقد خضعت له الحجاز والعراق وخرسان واليمن ، واستمر في خلافته الى أن تمكن الحجاج من محاصرته بمكة وقتله وذلك في عام ٧٣ هـ (٤١).

ويبنى حزب الزبيرين نظريته السياسية على أساس أن الخلافة ينبغي أن تكون في قريش وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين يختاره المسلمون بالشورى كما كان الأمر على عهد الخلفاء الراشدين ، وأن تكون حاضرة الخلافة في الحجاز . مسيطرة لعهد الخلفاء الراشدين . ولعله كره الشام لمكانة الأمويين هناك ، وكره العراق لأنه مستقر الشيعة ، لذلك اعتصم بمكة وطرد الأمويين من المدينة وسمى نفسه العائد (٤٢).

ولم يطل الوقت بابين الزبير ورهطه لتظهر بشكل علمي نواياه في مسألة الخلافة في هذا السلطان ، فقد قضى مدته في تأسيس وحروب ثم قضى وتبعه حزبه دون تفكير في استمراره ، كذلك لم يترك لنا دعاة ينهضون بإقرار نظريته والسير على سنتها . ولو جدلا كما فعلت الأحزاب الأخرى فكان حزبه أشبه بثورة طارئة (٤٣).

حزب الموالي :-

الموالي كلمة تطلق على كل من دخل في الإسلام من غير العرب سواء أكان رقيقا أم لا . وأستعملت كتب الفقه هذه الكلمة للدلالة على نفس المعنى أيضا ، وسمى العجم موالي لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدي العرب ، وكان للعرب استرقاقهم . فإذا تركوهم أحرارا فكأنهم أعاقبوهم .. والموالي المعتقون .

وقد تكون هذا الحزب نتيجة لموقف الدولة الأموية منهم فقد تعصب الأمويون للعرب .. وكانوا يقدمونهم على غيرهم من الموالي

فى الوظائف العامة كالقيادة والقضاء والولاية وكانت سياستهم عربية أكثر منها إسلامية مما أدى إلى نقمة الموالى على العرب عامة وعلى بنى أمية خاصة (٤٤) وذلك لخروجهم على أصول الإسلام الذى يسوى بين أهله ولا يفرق بين عربى وعجمى إلا على أساس التقوى وقالوا حينئذ بالتسوية مادام الإسلام عاما والناس أمامه سواء ثم أخذوا يعتزون بمجدهم التليد ودولتهم الذاهبة ذات الحضارة الراقية والآثار الباقية والسلطان العظيم والغنى العريض .

ونتيجة لروح التذمر هذه والسخط على العرب وخاصة الأمويين نجدهم يشاركون فى كل الثورات التى تقوم ضد بنى أمية .. فوجدنا قسما منهم يظاهر العلويين وقسما آخر يساند الخوارج وساعدوا بذلك على تفويض دولة بنى أمية ورفع العباسيين الى سدة الحكم ، وبدأت بذلك بالنسبة للفرس فقط صفحة جديدة فى تاريخ علاقاتهم بالعرب (٤٥) .

وقد عبر محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى وصفه — لاتباعه ودعائه عندما أرسلهم لبث الدعوة العباسية — لهذه الحالة من الإنقسام والتفرق والتحزب التى أصبح عليها العالم الإسلامى على عهد الدولة الأموية بقوله :

" أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن أبى طالب ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما .. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر .. ولكن عليكم بخرسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم بها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحابز الاتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذلون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون الدول . وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواحل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة وبعد

..فكأنى أتفاعل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح
الخلق (١٦) .